بسم الله الرحمن الرحيم

المنظومة الميمية في الآداب الشرعية للعلامة حافظ حكمي (3)

الشيخ: عبد الكريم بن عبد الله الخضير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سم.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين يا ذا الجلال والإكرام.

قال العلامة حافظ -رحمه الله تعالى-:

والعـــالمون علـــى العبـــاد فضـــلهم ... كالبـدر فضـلاً علـى الـدري فـاغتنمِ
وعـالم مـن أولـي التقـوى أشـد علـى ... الشـيطان مـن ألـف عبـاد بجمعهـم
ومـوت قـوم كثيـر العـد أيسـر مـن ... حبـر يمـوت مصـاب واسـع الألـم
كمـا منافعـه فـي العـالم اتسـعت ... وللشـياطين أفـراح بمـوتهم
تـالله لـو علمـوا شـيئاً لمـا فرحـوا ... لأن ذلـك مـن أعـلام حـتفهم
هـم الرجـوم بحـق كـل مسـترقٍ ... سمعاً كشهب السماء أعظم بشهبهم
لأنهـا لكـلا الجنسـين صـائبة ... شـيطان إنـس وجـن دون بعضـهم
هـم الهـداة إلـى أهـدى السـبيل وأهـ ... ـل الجهل عن هديهم ضلوا لجهلهم
وفضلهم جاء في نص الكتاب وفي الـ ... ـحديث أشهر من نار على علم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول الناظم -رحمه الله تعالى- في فضل العلم وحملته:

"**والعالمون**" العلماء "**على العباد فضلهم * كالبدر فضلاً على الدري**" يعني على الكوكب الدري "**فاغتنمِ**" إذا كان فضل العلماء على العباد فما فضلهم على سائر الناس؟

روى الدارمي عن الحسن مرسلاً قال: ((فضل العالم على العابد)) الذي يصوم النهار، فضل العالم يعني الذي يؤدي الواجبات فقط ((على العابد)) الذي يصوم النهار ويقوم الليل ((كفضلي على أدناكم)) فضل عظيم، وجاء أيضاً ما يدل على أن العلماء أفضل من العباد، والنسبة بينهم كالبدر كنسبة البدر إلى نسبة الكوكب الدري.

أقول: هذا إذا كان بالنسبة لمن أمضى وقته، وقضى أنفاسه فيما يرضي الله -جل وعلا- وهو العبادة التي من أجلها خُلق، هذا على العباد، فماذا عن فضل العلماء على سائر الناس غير العباد؟ فضلاً عن من دونهم من أهل التفريط، وهذا كما قال المؤلف -رحمه الله-: "**فاغتنمِ**" اغتنم فرصة العمر ليحصل لك هذا الفضل، وعلى هذا تبعاً للقاعدة المقررة عند أهل العلم أن النفع إذا كان متعدياً كان فضله وأجره أكثر من النفع القاصر، فالعلم فضله يتعدى إلى غيره، وقلنا: إن الثواب المرتب على العلم أشبه ما يكون بالهرمي، مثل ما قلنا: تعلم على يديك

شخص وهذا الشخص علم آخر، والآخر علم ثالث، والثلاثة علموا ثلاثة، والستة علموا ضعفهم إلى أن يصل العدد إلى ما لا يعلمه إلا الله -جل وعلا-، إضافة إلى التأليف إن وجد يعني مع التعليم، أجور أجور عظيمة، لا يقدر قدرها إلا الله -جل وعلا-، فعلى الإنسان أن يغتنم كل لحظة في عمره للاكتساب من العلوم التي تزيده معرفة بالله -جل وعلا-، وعملاً بدينه، وتعليماً لخلقه.

وعالم من أولي التقوى أشد على الشيطان من ألف عبّاد بجمعهمِ

عباد: جمع عابد أو صيغة مبالغة فعال؟ نعم صيغة مبالغة (فعال) عباد "**من ألف عباد بجمعهمِ**" يعني من ألف عابد، لكنه جاء بها بصيغة المبالغة، وقد روى الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس مرفوعاً: ((فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)) لكنه بسند ضعيف، سنده ضعيف "فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد" لماذا؟ معناه صحيح وإلا غير صحيح؟ معناه صحيح، سنده ضعيف، لكن معناه صحيح؛ لماذا؟ لأن وظيفة الشيطان إغواء الناس، ووظيفة العالم ضد وظيفة الشيطان هداية الناس، والعابد هذا إذا اهتدى بنفسه يكون فرداً واحداً، لكن العالم إذا بذل واستحق أن يكون عالماً بحق، عالماً ربانياً، هادياً مهدياً فإنه يناقض وظيفة الشيطان، هذا وظيفته إغواء الناس، وهذا وظيفته هداية الناس، فجاء أمره أشد على الشيطان من العابد الذي يقتصر على نفسه دون أن ينفع غيره.

وموت قوم كثير العد أيسر من حبر يموت مصاب واسع الألمِ

موت العالم ثلمة لا تسد، فلا شك أن مصاب الناس بالعالم الذي يهديهم ويدلهم إلى الصراط المستقيم، وإلى الطريق الأقوم لا شك أنه أمره عظيم جداً، وخسارة فادحة لا تعوض، وأدركتم شيئاً من ذلك، يعني خسرت الأمة بفقد علمائها بما لا يمكن تعويضه، ولا شك أن موت العالم ثلمة.

وموت قوم كثير العد أيسر من حبر يموت مصاب واسع الألمِ

الحبر: واحد الأحبار، وأهل اللغة يقولونه بالكسر، وأهل الحديث يقولونه بالفتح.

يقول:

كما منافعه في العالم اتسعت وللشياطين أفراح بموتهمِ

منافع العالم اتسعت، وإذا كان اتساع منفعة العالم في أزمان مضت اتساع محدود في بلده، وبواسطة من ينقل عنه العلم من طلابه، أو بواسطة كتبه التي ألفها، وسارت في الآفاق، منافعه اتسعت بهذه الطريقة، يأتي طلاب من الآفاق يحملون عنه، ويبلغون أقوامهم، أو بمؤلفاته التي تنتشر ويعم نفعها، لكن الآن اتسع الانتشار اتساعاً لا يجعل لأحد أدنى حجة من البذل، يعني بعض الناس كان يتعذر بأنه لا يرى السفر مثلاً، أو يشق عليه السفر، الآن ما له حجة وهو في بيته في مكتبه في مكتبته في بيته يبلغ إلى الآفاق بواسطة هذه الآلات، والأشرطة وصلت إلى أقاصي الدنيا، والبث أيضاً وصل، والأسئلة ترد من الشرق ومن الغرب في وقت واحد، من استراليا ومن كندا في ظرف واحد ترد.

كما منافعه في العالم اتسعت وللشياطين أفراح بموتهمِ

يعني كم فرح الشياطين بموت الأئمة العلماء الربانيين أمثال الشيخ ابن باز والألباني والشيخ ابن عثيمين، هؤلاء وصلت علومهم إلى جميع أصقاع الأرض، وجاء من يبلغهم بهذا، ويسألهم هل نحن من الطلاب أو لا؟

فاختبروهم فوجدوهم كما أمّلوا، اختبروهم، قالوا: تخرجنا على الأشرطة، فوجدوا أضبط من بعض من يحضر الدروس، هذا خير عظيم، هذه منة من الله -جل وعلا-، وآية من آيات الله -جل وعلا- أن يصل العلم في آن واحد في وقت واحد من غير سفر، ومن غير عناء، ومن غير رحلة، كان السلف يرحلون الآلاف من الكيلوات، آلاف الأميال من أجل أن يلتقوا بالعالم فلان، ويأخذوا عنه علمه، ثم يرجعون إلى بلدانهم بعد سنين، الآن بالإمكان أن يرحل في يوم ويرجع، هذا إذا ارتحل، أو يصل إليه علم فلان وعلان من أقصى الدنيا في ضغطة زر، فما بقي الآن لأحد حجة، فاتسع النفع واتسع الانتفاع، والحمد لله.

كما منافعه في العالم اتسعت ... وللشياطين أفراح بموتهمِ

تالله لو علموا شيئاً لما فرحوا ... لأن ذلك من أعلام حتفهمِ

حتى الشياطين لو علموا بأن موت هذا العالم علامة لحتفهم كيف؟ لأن قبض العلماء علامة على قرب الساعة، وقرب الساعة ليس من مصلحة هؤلاء الشياطين؛ لأنهم يؤولون إلى دار الجزاء التي ليس لهم فيها إلا النار -نسأل الله السلامة والعافية-.

تالله لو علموا شيئاً لما فرحوا ... لأن ذلك من أعلام حتفهمِ

هم الرجوم بحق كل مسترقٍ ... سمعاً كشهب السماء أعظم

بشهبهمِ

هم الذين يحرقون هؤلاء الشياطين، ويقضون على شبههم وتلبيسهم، فهم الرجوم لهؤلاء الشياطين، كما أنهم أيضاً هم الماحق والساحق لهذه الشبه التي يلقيها شياطين الإنس والجن.

لأنها لكلا الجنسين صائبة .....

هذه الشهب وهذه السهام سهام الحق التي تصدر من أهل العلم المحققين لأهل الشبه.

لأنها لكلا الجنسين صائبة ... شيطان إنس وجن دون بعضهم

لا شك أنهم شجىً في حلوق الشياطين شياطين الإنس وشياطين الجن.

ثم قال:

"**هم الهداة**" يعني العلماء.

هم الهداة إلى أهدى السبيل وأهـ ... ـل الجهل عن هديهم ضلوا لجهلهمِ

وذكرنا ما ذكره أبو بكر الآجري في كتابه (أخلاق العلماء في منة أهل العلم على أهل الجهل) يعني تصور أنك في بلد ما فيه عالم، وأشكل عليك أدنى مسألة من مسائل الدين أو من مسائل الدنيا، كيف تنحل هذه المسألة؟ كيف تنحل هذه المشكلة؟

هم الهداة إلى أهدى السبيل وأهـ ... ـل الجهل عن هديهم ضلوا لجهلهمِ

وفضلهم جاء في نص الكتاب وفي ... الحديث أشهر من نار على علمِ

النار إذا كانت في بطن وادي ما ترى، لكن إذا كان على علم، على رأس جبل يراها الناظر من بعيد، فالنصوص نصوص الكتاب والسنة التي جاءت في فضل العلم وفضل العلماء أشهر من نار على علم، يعني من النار التي توقد فوق رأس جبل.

نعم.

نبذة في وصية طالب العلم

يـا طالـب العلـم لا تبغـي بـه بـدلاً ... فقـد ظفـرت ورب اللـوح والقلـمِ
وقـدس العلـم واعـرف قـدر حرمتـه ... فـي القـول والفعـل والآداب فـالتزم
واجهـد بعـزم قـوي لا انثنـاء لـه ... لـو يعلـم المـرء قـدر العلـم لـم ينـم
والنصـح فابذلـه للطـلاب محتسـباً ... فـي السـر والجهـر والأسـتاذ فـاحترم
ومرحبـاً قـل لمـن يأتيـك يطلبـه ... وفيهم احفظ وصايا المصطفى بهم
والنيـة اجعـل لوجـه الله خالصـة ... إن البنـاء بـدون الأصـل لـم يقـم
ومـن يكـن ليقـول النـاس يطلبـه ... أخسـر بصـفقته فـي موقـف النـدم
ومـن بـه يبتغـي الـدنيا فلـيس لـه ... يـوم القيامـة مـن حـظ ولا قسـم
كفى به من كان في شورى وهود وفي ا ... إسـراء موعظـة للحـاذق الفهـم
لـ ... كـذا مباهـاة أهـل العلـم لا تـرم
إيـاك واحـذر ممـاراة السـفيه بـه ... إلـى الإلـه ألـد النـاس فـي الخصـم
فـإن أبغـض كـل الخلـق أجمعهـم ... أعمـال صـاحبه فـي سـيله العـرم
والعجـب فاحـذره إن العجـب مجتـرف ... وقـدم الـنص والآراء فـاتهم
وبـالمهم المهـم ابـدأ لتدركـه ... يبين نهـج الهدى من موجب النقم
قـدم وجوبـاً علـوم الـدين إن بهـا ... والكسر في الدين صعب غير ملتئم
وكـل كسـر الفتـى فالـدين جـابره ... وبـالعتيق تمسـك قـط واعتصـم
دع عنـك مـا قالـه العصـري منـتحلاً

يقول الناظم –رحمه الله تعالى–:

"**نبذة**" قليلة مختصرة يستفيد منها طالب العلم، وهي عبارة عن مجموعة وصايا لطالب العلم، يحثه على الازدياد من طلب العلم، وينير له الطريق، ويرسم له بعض المعالم التي عليه أن يسلكها.

يقول:

نبذة في وصية طالب العلم

يقول:

يـا طالـب العلـم لا تبغـي بـه بـدلاً ... فقـد ظفـرت ورب اللـوح والقلـمِ

لأنك في طريقك إلى أن تكون من الهداة من العلماء الذين تقدم ذكر فضلهم في النصوص، وفي كلامه السابق –رحمه الله–.

"**لا تبغي به بدلاً**" ويوجد -ولله الحمد- من طلاب العلم من صبروا وصابروا وثابروا واستمروا السنين كما أنه وجد من ترك الطلب لا سيما لما شاعت واشتهرت التجارة الرابحة في أسرع مدة وأقصر وقت، كتجارة الأسهم، يعني فقدنا بعض الطلبة، يعني لا ننكر أننا خسرنا بعض الطلبة، فقد تركوا وابتغوا بدلاً من العلم، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وانساقوا وراء الأسهم، ثم بعد ذلك حصل ما حصل من الكوارث والخسائر الفادحة، وندموا ولات ساعة مندم، وصعب عليهم الرجوع، وبعضهم رجع، ولذا يقول:

يـا طالـب العلـم لا تبغـي بـه بـدلاً فقــد ظفــرت ورب اللــوح والقلــمِ

ما الذي كسبه من أعرض عن العلم بعد أن حفظ كتاب الله وشيئاً من سنة نبيه -عليه الصلاة والسلام-، وحفظ بعض المتون، ثم انصرف عنها إلى البديل إلى الحطام الفاني، ثم نسي ما حفظ، ما نسبة ربحه إلى خسارته، لا نسبة بين الخسارة والربح في هذه الصورة ألبتة، لا نسبة بين خسارته وربحه، افترض أنه كسب الدنيا بحذافيرها، ولا يعرف قدر الدنيا إلا العارفون بالله -جل وعلا- وبموعوده، وما ثبت عنه وعن نبيه -عليه الصلاة والسلام-، المطلعون على سيرة النبي -عليه الصلاة والسلام- وكيفية عيشه ونظرته إلى هذه الدنيا.

سعيد بن المسيب لما جاءه الخاطب يخطب ابنته للوليد بن عبد الملك ابن الخليفة، وقال له: جاءتك الدنيا بحذافيرها، ما قال: فرصة، نتفرغ للعلم، والدنيا تأتي من هذا الطريق، قال: لا، جاءتك الدنيا بحذافيرها، قال: إذا كانت الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة فماذا ترى يقص لي من هذا الجناح، هؤلاء هم الذين يعرفون قدر الدنيا.

يـا طالـب العلـم لا تبغـي بـه بـدلاً فقــد ظفــرت ورب اللــوح والقلــمِ

وقدس العلم..... .....

العلم جاءت النصوص بتقديسه وتعظيمه والرفع من شأنه، فارفع من شأنه وقدسه وعظمه في نفسك وفي غيرك.

وقـدس العلـم واعـرف قـدر حرمتـه فــي القــول والفعـل والآداب فــالتزمِ

في القول والفعل، لا يكون تقديسك للعلم وحثك على العلم والتعلم والتعليم بمجرد القول، لكنك أعمالك تخالف ما تقول، فكأنك تدعو بقولك، وتصد بعملك، كما هو حالنا وحال كثير ممن يتصدى لهذا الأمر، إذا قارنت بين العلم والعمل وجدت البون شاسعاً، فكأن من يتحدث في هذه الموضوعات يحث الناس بلسانه، لكن ماذا عن العمل، ولا شك أن صرف الناس بالعمل أعظم من جلبهم بالعلم والقول فقط؛ لأن الناظر إلى العمل يقول: لو كان العمل بهذا العلم نافعاً لما ترك العمل به، ولكان أولى الناس بالعمل به لمعرفته، وتمام خبرته بفضل هذا العلم لا بد أن يعمل به، وما دام لا يعمل به هو فلا شك أن العمل به غير مجدٍ، إذاً تعلمه ليس بمجدٍ، فهو يحث الناس بقوله، ويصرفهم بعمله، نظير ذلك الطبيب مهما نصح في التحذير من الدخان وهو يدخن ما يستفاد منه، يستفيد المريض إذا قال له: لا تدخن وهو يدخن؟ ما يستفاد منه، ومهما قال العالم: احرصوا على الأوقات، واغتنموا الأوقات وهو يضيع أوقاته يمين وشمال وفي القيل والقال، واحرصوا على قيام الليل وهو ما يقوم الليل، احرصوا على الصوم وهو ما يصوم هذا ما فيه فائدة.

وقـد العلــم واعـرف قــدر حرمتــه فــي القــول والفعـل والآداب فــالتزم

يعني تأدب بأدب العلم، يعني لا يليق بطالب علم أو بعالم أن يكون وضعه مثل وضع عامة الناس، ويوجد ممن يحمل شيئاً من العلم، وإذا جلست في مجلس لا تجد أي فرق بينه وبين العوام.

**واجهـد بعـزم قـوي لا انثنـاء لـه ..... **

اجهد في تحصيل العلم والعمل به بعزم قوي لا انثناء له، لا تنثني لا يثنيك أي شيء من المغريات، لا يثنيك لين الفراش، ولا جمال الزوجة، ولا طيب الهواء والجو، ولا متعة التنزهات والرحلات.

واجهـد بعـزم قـوي لا انثنـاء لـه لـو يعلـم المـرء قـدر العلـم لـم يـنمِ

يعني لو أن الإنسان يدرك حقيقة هذا العلم ما تهنأ بنوم؛ لماذا؟ يريد أن يستغل هذه الساعات التي ينامها في تحصيل أكبر قدر ممكن من العلم.

**والنصـح فابذلـه للطـلاب محتسـباً ..... **

يعني على العالم أن يبذل النصح لطلابه، على العالم أن ينصح لطلابه، والنصيحة كما جاء في الحديث: ((الدين النصيحة)) وأولى الناس بنصحك أهل بيتك ومعارفك وأقاربك وجيرانك وطلابك، الأقربون أولى بالمعروف **{وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}** [(214) سورة الشعراء] والطلاب بمنزلة الأولاد، فعلى العالم أن يبذل النصيحة لهم، كما أن على الطالب ألا يضجر الشيخ، إذا رأى أن الوقت غير مناسب، أو أن الشيخ غير متهيئ للإكثار من الأسئلة يترك، تجد بعض الطلاب –هداهم الله– ولا شك أن هذا باعثه الحرص على الإفادة والاستفادة من الشيخ، مجرد ما يسلم الشيخ من الصلاة قبل أن يؤدي الأذكار يأتي ليسأل، ويصعب أن يقول الشيخ باستمرار: انتظر قليلاً، دعنا نذكر الله وكذا، تجد بعض أهل العلم إذا سلم جهر بالذكر على غير عادته ليخبر الطالب اللي بجنبه ومن عن يمينه واللي بيساره أن المسألة ما زالت يعني، انتظر قليلاً، وبعض الطلاب ما يقدر هذه الأمور، وبعضهم إذا رأى الشيخ يقرأ قرآن، جالس في المسجد يقرأ القرآن، أكثر عليه من الأسئلة وأنهى الوقت بأسئلته وبمشاكله وقضاياه، وإذا قال له الشيخ: أنا والله مشغول الآن، قال: كيف مشغول؟ جالس يقرأ قرآن ومشغول؟ ويش معنى مشغول؟ يعني ما يقدرون المسائل قدرها، وهذا فيه إحراج للشيوخ، وبعض الطلاب ما يدرك مثل هذه الأمور، يريد أن يأخذ حاجته، والمطالبة من الطرفين، لا يطالب طرف على حساب طرف آخر، الشيخ عليه أن يبذل، على الشيخ أن يبذل، وعلى الطالب أن يرفق بشيخه، ولا يضجر شيخه؛ لأن الشيخ ظروفه مثل ظروف غيره، أحياناً يأتي بعد درس وينصرف إلى بيته فيتبعه بعض الطلاب ويوقفونه عند الباب، يمكنه محتاج للدورة، والطالب ما يقدر هذه الأمور، أو يكون بعد صلاة ظهر أو عصر والشمس محرقة، ويوقف الشيخ في الشمس، هذا موجود من كثير من الطلاب، فيصعب على الشيخ أن يصرفهم بأسلوب غير مناسب، وبعض الطلاب لا يفيد به إلا التصريح، فكما أن الشيخ مطالب بالبذل والصبر على الطلاب ومحض النصح للطلاب، أيضاً الطرف الآخر مطالب، وفي آداب العالم والمتعلم ما يكفي ويشفي، لكن كثير من طلاب العلم في غفلة عن دراية هذه الأمور، ومراجعة هذه الأمور، والصحابة كانوا على أدب رفيع قوي مع النبي –عليه الصلاة والسلام–، وقد نهوا عن الإكثار من الأسئلة، أسئلة يستفيدون منها، وقد أمر الله –جل وعلا– بالسؤال **{فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ}** [(43) سورة النحل] لكنهم نهوا عن الإكثار من الأسئلة التي تضجر، ابن آدم مركب من أمور من لحم

ودم ومشاعر ومن..، المقصود أنه يضجر مهما كان، إنما أنا بشر -عليه الصلاة والسلام- مع ما جُبل عليه من خلق ومن حلم ومن تواضع لكن مع ذلك نهوا عن الإكثار من المسائل لهذا الأمر، فكانوا يفرحون إذا جاء الرجل العاقل من أهل البادية ليسأل النبي -عليه الصلاة والسلام- من أجل أن يستفيدوا.

فعلى طالب العلم أن يتحين الأوقات المناسبة، ولا يضجر الشيخ، كما أن على الطرف الآخر على الشيخ أن يبذل، أخذ الله عليه العهد والميثاق أن يبين ولا يكتم، على ما ستأتي الإشارة إليه في هذه المنظومة -إن شاء الله تعالى-.

والنصـح فابذلـه للطـلاب محتسـباً فـي السـر والجهـر والأسـتاذ فـاحترمِ

النصح للطلاب لا بد منه، إذا جاء طالب يستشير في كتاب يقرأ على العالم أن ينظر مستوى هذا الطالب ويشير إليه بما يناسبه، ولا ينظر إلى مصلحته هو، إنما ينظر إلى مصلحة الطالب وينصح للطالب، بعض الشيوخ إذا جاءه الطالب قال: أريد أن أقرأ عليك، ويش تختار لي أي كتاب؟ فبعض الشيوخ يختار ما يحتاجه من الكتب هو، هذا ليس من النصح للطالب، وقد يكون هذا الكتاب غير مناسب للطالب، فمن باب النصيحة وبذل النصيحة لهذا الطالب أن ينظر الشيخ فيما ينفع الطالب.

والنصـح فابذلـه للطـلاب محتسـباً فـي السـر والجهـر والأسـتاذ فـاحترمِ
ومرحبـاً قـل لمـن يأتيـك يطلبـه وفيهم احفظ وصايا المصطفى بهمِ

من يأتيك يطلبه من أهل البلد، وليكن عنايتك وترحيبك بمن هو أبعد فأبعد عن أهل البلد؛ لأن أهل البلد ما تعبوا مثل تعب من جاء من الآفاق، فهؤلاء لا شك أنهم أهل للعناية والرعاية.

ومرحبـاً قـل لمـن يأتيـك يطلبـه وفيهم احفظ وصايا المصطفى بهمِ

أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بسند فيه كلام لأهل العلم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((سيأتيكم أقوام يطلبون العلم فإذا رأيتموهم فقولوا: مرحباً بوصية رسول الله -صلى الله عليه وسلم-)) والحديث لا يسلم من ضعف.

والنيـة اجعـل لوجـه الله خالصـة إن البنـاء بـدون الأصـل لـم يقـمِ

ما في بناء بدون قاعدة وبدون أساس، والنية هي الأصل، والإنسان يؤجر على نيته أكثر من أجره على عمله، العمل المجرد عن النية لا أجر فيه، بينما النية المجردة عن العمل إذا وجد ما يمنع منه يرتب عليها الأثر.

والنيـة اجعـل لوجـه الله خالصـة إن البنـاء بـدون الأصـل لـم يقـمِ
ومـن يكـن ليقـول النـاس يطلبـه أخسـر بصـفقته فـي موقـف النـدمِ

أول من تسعر بهم النار ثلاثة: رجل تعلم العلم وتعب في تحصيله ثم علم الناس، فيجاء به يوم القيامة فيقال: ماذا صنعت؟ فيقول: والله تعلمت وتعبت وسهرت وبذلت ثم علمت الناس، وهديت الناس، وأرشدت الناس ثم يقال له: كذبت، إنما فعلت ذلك ليقال: عالم، ثم يسحب على وجهه ويلقى في النار، والثاني المجاهد يؤتى به فيقال له: ماذا صنعت؟ فيقول: جاهدت في سبيلك حتى استشهدت، فيقال: كذبت، إنما قاتلت ليقال: جريء شجاع، وقد قيل، ثم يسحب على وجهه فيلقى في النار، والثالث: المنفق صاحب الأموال الذي ينفقها في وجوه

الخير فيما يبدو للناس، ثم يقال له: ماذا صنعت؟ فيقال: جمعت الأموال وأنفقتها..، ما من سبيل ترضاه إلا وقد أنفقت فيه، فيقال له: كذبت، إنما أنفقت ليقال: جواد، فيسحب على وجهه فيلقى في النار.

فهؤلاء الثلاثة هم أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، فالأمر عظيم جد خطير، يعني ما هي المسألة سهلة لا يمكن أن تخرج من هذا الشأن كفافاً لا عليك ولا لك، لا، فإما أن تكون في الدرجات العليا يتراءك أهل الجنة كالكوكب الدري الغابر في السماء من عظم المنزلة ورفعت الدرجات، أو تكون أول من تسعر به النار يوم القيامة، فاختر لنفسك.

ومـن يكـن ليقـول النـاس يطلبـه   **أخسـر بصـفقته فـي موقـف النـدمِ**

حين لا ينفع الندم.

ومــن بــه يبتغــي الــدنيا فلــيس لــه   **يــوم القيامــة مــن حــظ ولا قســمِ**

كفى به من كان في شورى وهود وفي ا لــ   **إســراء موعظــة للحــاذق الفهــمِ**

الذي في الشورى قول الله -جل وعلا-: **{مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ}** [(20) سورة الشورى] معلق بالإرادة، الإرادة هي النية، والتي في هود قوله: **{مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}** [(15-16) سورة هود].

كفى به من كان في شورى وهود وفي ا لــ   **إســراء موعظــة للحــاذق الفهــمِ**

والذي في الإسراء: **{مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا * كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء}** [(18-20) سورة الإسراء] يعني بعد أن بين للفريقين طريق النجاة وطريق الشقاء **{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}** [(10) سورة البلد] ولم يبق لأحد **{كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا}** [(20) سورة الإسراء].

إيــاك واحــذر ممــارة الســفيه بــه   **كــذا مباهــاة أهــل العلــم لا تــرمِ**

روى ابن ماجه والترمذي بسند فيه كلام عن ابن عمر مرفوعاً: ((من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو ليباهي به العلماء، أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار)) نسأل الله العافية.

فـإن أبغـض كـل الخلـق أجمعهـم   **إلـى الإلـه ألـد النـاس فـي الخصـمِ**

في صحيح البخاري من حديث عائشة -رضي الله عنه- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)) الخصم دائم الخصومة (فعل) صيغة مبالغة (فعل) مثل حذر، الدائم الخصومة، والألد هو الذي يدعي الباطل ولا يقبل الحق، يجادل عن الباطل بقوة، وإذا عرض عليه الحق وبين له لم يقبله.

والعجب فاحذره إن العجب مجترفٌ   **أعمـال صـاحبه فـي سـيله العـرمِ**

لماذا؟ لأن المعجب بعمله مزكٍ لنفسه ولعمله، مترفع عن الخلق، متكبر عليهم، يرى أن له فضل على الناس.

والعجب فاحذره إن العجب مجترفٌ أعمـال صـاحبه فـي سـيله العـرمِ

محبط للأعمال -نسأل الله السلامة والعافية-.

وبـــالمهم المهـــم ابـــدأ لتدركـــه .....

يعني العلم كثير.

وبـــالمهم المهـــم ابـــدأ لتدركـــه .....

لأن العلم بحور، لا يمكن أن يحاط به، إذا كان علم موسى والخضر في علم الله -جل وعلا- مثل ما نقر العصفور من البحر، والله -جل وعلا- يقول لجميع المخلوقين: **{وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً}** [(85) سورة الإسراء] يعني إذا ضم علم جميع المخلوقين ما هو بالنسبة لعلم الله -جل وعلا- إلا شيء يسير، فعلى طالب العلم أن يبدأ بالمهم المهم، وتجد بعض الطلاب عندهم كتب كثيرة جداً، والتحصيل أقل، وكثرة الكتب ليست علامة على كثرة العلم أبداً، بل هي في الغالب مشغلة عن التحصيل، تجده هذا اليوم يأخذ الكتاب يقرأ له كلمة، يأخذ هذا الكتاب ويقرأ صفحة، ثم يتنقل من علم إلى علم، ينظر في علوم لا حاجة له بها، ويترك الأهم فلا يلتفت إليه، فيكون هذا على حساب هذا، والواقع يشهد بهذا، يعني إذا ذهبتم إلى المكتبات تجدون كتب تُحقق من قبل طلاب علم، هي أبعد ما تكون عن الأهمية، يعنى بعض الطلاب بجزء بيبي، وجزء الألف دينار، وجزء كذا، وإذا سألته عن أوضح حديث في صحيح البخاري ما يدري، ليست له عناية في البخاري، هذا ابتدأ بالمهم المهم؟ لا، هذا اشتغل بالمفضول عن الفاضل.

وبـــالمهم المهـــم ابـــدأ لتدركـــه .....

لأن المسألة مسألة صعود وترقي، يبدأ بالمهم فالمهم؛ لأن العمر لا يستوعب كل شيء، ما يقول: والله أنا با أخر هذا العلم إلى أن أفرغ له، عليه أن يقدم ما يحتاج إليه في كل علم من العلوم، بدءاً من الدرجة الأولى، ثم الثانية، ثم إلى أن يصعد إلى السلم الذي أو رأس السلم الذي رتبه أهل العلم لطبقات المتعلمين.

وبـــالمهم المهـــم ابـــدأ لتدركـــه وقدم النص.....

النص من الكتاب والسنة يقدم على قول كل أحد.

"**والآراء فاتهمِ**" يعني بدلاً من أن تقدم هذه الآراء، ويحكم بها على النصوص قدم النصوص واتهم الآراء، يعني بعض المقلدة إذا أحضر له أو ذكر له الدليل الصحيح من الكتاب أو من السنة قال: ولو، لو كان..، يعني أنت أعرف من الإمام أحمد، أو من الإمام أبي حنيفة أو من الإمام مالك، أنت أعرف منهم؟ يعني يخفى عليهم هذا الدليل؟ ما يمكن يخفى، تعرفه أنت، أو فهمك أفضل من فهم الإمام أحمد أو غير الإمام أحمد؟

المقصود أن الإنسان إذا سمع قال الله وقال رسوله يقف، وقد أحسن من انتهى إلى ما سمع.

العلـــم قـــال الله قـــال رســـوله قـــال الصـــحابة هـــم أولـــو العرفـــانِ

وبـــالمهم المهـــم ابـــدأ لتدركـــه وقـــدم الـــنص والآراء فـــاتهمِ

الآراء التي تخالف النصوص اتهمها لا تتهم النص؛ لأن بعض الناس يتهم النص أنه يحتمل تأويل، يحتمل نسخ، يحتمل أنه مخصص، يحتمل أنه مقيد، ومع ذلك يعمل بأقوال الأئمة، ولا يعني هذا أن أقوال الأئمة تهدر، لا، يستفاد منها، لكن الأقوال والاجتهادات والأقيسة في مقابل النصوص فاسدة الاعتبار عند أهل العلم، "**والآراء فاتهمِ**".

قـدم وجوبـاً علـوم الـدين إن بهـا يبين نهـج الهدى من موجب النقمِ

قدم علوم الدين، يعني طالب العلم عنده مكتبة فيها كل الفنون، فيها التفسير، وفيها الحديث، وفيها العقيدة، وفيها الفقه، وفيها التاريخ، وفيها الأدب، وفيها وفيها وفيها، فيها الطب، فيها رحلات، وفيها موسوعات، كل العلوم موجودة، فيها الدواوين، فيها الشعر والنثر والقصص وغيرها، والمجلات، والذكريات، وفيها من كل شيء، ما الذي العناية به أهم؟ يقول:

"**قدم وجوباً علوم الدين**" علوم الدين هي التي جاءت النصوص بمدحها، ومدح أربابها وحامليها، أما العلوم الأخرى فهي قد تكون مما يعين، قد يكون فيها إعانة على التحصيل من بعض الوجوه، يعني تقرأ في كتب التاريخ؛ لأن فيها متعة وفيها عبرة، فيها عبرة التاريخ كما يقولون: يعيد نفسه، والأسباب التي انعقدت لهلاك الأمم السابقة إذا وجد نظائرها النتائج واحدة، السنن الكونية لا تتغير، ولذا إذا لو قرأ طالب العلم في الجزء السادس من نفح الطيب وطبق على وضعنا الحالي القائم يضع يده على قلبه، يقول: اللهم سلم سلم، التاريخ يعيد نفسه، بنفس الأسلوب الذي نعيشه الآن، وذهب أولئك نهباً للأعداء وفريسة للأعداء، استولي على محارمهم وعلى أملاكهم، وشردوا وقتلوا، والنتائج واحدة، السنن الكونية لا تتغير ولا تتبدل، ونعيش ما يقرب من عيشهم الآن.

قـدم وجوبـاً علـوم الـدين إن بهـا يبين نهـج الهدى من موجب النقمِ

طالب العلم أيضاً قد يحتاج إلى شيء من الاستجمام والراحة والاطلاع على أخبار الأمم الماضية واللاحقة والمعاصرة يحتاج إلى أن يخرج قليلاً من باب الاستجمام، ومن باب توسيع الأفق؛ لأن بعض المسائل تحتاج إلى شيء من السعة، يعني لو ضربت مثال واحد لبان لنا أن أهل العلم لم يهملوا العلوم الأخرى، لكن يجعلونها خادمة لعلوم الدين، لا يجعلونها أصول قائمة برأسها ينبغي أن تخدم، لا، يجعلونها خادمة لعلوم الدين، فالمثال الذي تقدم في ألفاظ الجرح والتعديل قول أبي حاتم الرازي في جبارة بن المغلس بين يدي عدل، الحافظ العراقي يقول: هذا تعديل، يعني أبو حاتم يوثقه، ويقرأها: "بين يديَّ عدلٌ" وهذا توثيق، لكن الحافظ ابن حجر أوجس خيفة من هذه اللفظة؛ لماذا؟ لأنها من بين أقوال أهل العلم التي كلها تنصب في تضعيف هذا الرجل، فكيف يقول أبو حاتم وهو أشدهم: "بين يدي عدل" فصار يبحث، فوجد في أدب الكاتب ما فيه طرف الخيط، وأن شخصاً يقال له: العدل بن جزء بن سعد العشيرة على شرطة تبع، ثم وجد أيضاً في الأغاني ما يدل على ذلك بزيادة، وأن تبع إذا أراد قتل شخص قال: استلمه يا العدل، وهو على شرطته، فيقول الناس: "بين يدي عدل" يعني هلك، خلاص انتهى.

وفي الأغاني أيضاً قصة أخرى إبراهيم بن هارون الرشيد كان على مأدبة، ومعه القائد طاهر، فأخذ هذا الصبي هندبات إما كوسة وإلا قرع وإلا شيء من هذا، أخذها من الطعام فضرب بها عين طاهر، طاهر أعور، ضرب

العين السليمة، فذهب يشكوه إلى والده، فقال: هذا ما فعل هذا الصبي بعيني السليمة، والأخرى بين يدي عدل، يعني تالفة، يعني صرنا نستفيد من هذه الكتب، لكن فائدة يعني فائدة لا تعادل حجم هذه الكتب وما فيها من شرور، فيها شرور، وفيها أيضاً فيها مجون، وفيها كلام سخيف ومخل بالأدب، ولا يليق بطالب العلم، لكن مع ذلك يستفاد منها على إقلال، يعني ما يوغل فيها، وتجعل ديدن وإلا ورد كما يفعله بعض الناس، بعض الناس يقرأ الأغاني مراراً، أو يقرأ مثلاً كتب الأدب المطولة والمختصرة، ويعنى بالموسوعات وبالرحلات وبالذكريات، ويترك قال الله قال الرسول، هذا ليس بصحيح، ولذا قال:

قـدم وجوبـاً علـوم الـدين إن بهـا ... يبين نهج الهدى من موجب النقمِ

وكـل كسـر الفتـى فالـدين جـابره ... والكسر في الدين صعب غير ملتئمِ

كل كسر سواءً كان حسي أو معنوي، سواء انكسر أحد أعضائه ينجبر هذا، والدين يعوض، وسواء كان معنوي أيضاً وجد من يسخر منه، وجد من يهزأ به، هذا أمره يسير؛ لأنه معلق بالدنيا، والدنيا ليست شيء ممر.

وكـل كسـر الفتـى فالـدين جـابره ... والكسر في الدين صعب غير ملتئمِ

لا سيما إذا لم يتدارك بتوبة وأوبة ورجعة.

دع عنك ما قاله العصري منتحلاً ... وبـالعتيق تمسـك قـط واعتصـمِ

"**دع عنك ما قاله العصري منتحلاً**" يعني من علومهم المعاصرة التي لا تعين على ما يورث الخشية لله -جل وعلا- من علوم الكتاب والسنة وعلوم الدين التي جاء الحث عليها، فعلوم المعاصرين يستفاد منها في أمور الدنيا، يعني لو أن الإنسان أفنى عمره وتخصص في الطب أو في الهندسة أو في الزراعة أو في الكيمياء أو في غيرها من العلوم هذا يستفيد في أمور دنياه، كأنه نجار، كأنه مزارع، وأيضاً النية لا تؤثر فيها، لا تؤثر سلباً، يعني لو قصدها، قال: أنا أتعلم الطب أتكسب، لا أريد إلا الدنيا ما عليه شيء، يعني مثل المزارع ومثل التاجر ومثل الصانع هذه أصلها للدنيا، لكن إذا نوى بذلك التقرب إلى الله -جل وعلا- ونفع العباد يؤجر على هذه النية.

دع عنك ما قاله العصري منتحلاً ... وبـالعتيق تمسـك قـط واعتصـمِ

يعني في وقت من الأوقات يقال لطلاب العلم وقد سمعناه وقيلت لنا: اترك تفسير الطبري، تفسير ابن كثير، هذه مضى وقتها، عليك بما كتبه المعاصرون، الذين يعرفون مشاكل العصر، وقضايا العصر، وينزلون عليها، اترك كتب المتقدمين نقول: لا "**وبالعتيق تمسك**" ما في علم إلا بكتب المتقدمين، يعني كون الإنسان يطلع على ما كتبه المعاصرين طيب وجيد، يطلع على ما كتبه العلماء المعاصرين، لا سيما من كانت عنده شيء من الالتزام بالقواعد، قواعد العلم والتعليم، أما من انسلخ مما ينبغي أن يزاوله شارح الكتاب أو شارح السنة هذا لا يلتفت إليه، يعني مثل تفسير طنطاوي جوهري الذي كأنه كتاب علوم، كله رسوم لذوات الأرواح، وكله نظريات، وكله نقول عن يهود ونصارى وكفار، وتجارب أمم، يعني كلها..، الكتاب محشو بمثل هذا، والفائدة في جانب هذه الأمور قليلة جداً.

يعني من الطرائف التي ذكرها، يعني استدل على جواز التصوير: **{إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ}** [(43) سورة الأنفال] يقول: هو يرى العدو على حقيقته، ولا يمكن أن يرى حقيقة أقل مما هو عليه إلا بصورة، ليست حقيقة، أوروا العدد قليل بصورة لا بالحقيقة، فهذا يدل على جواز التصوير، يقول: فعرضت هذا....، قلت: هذا يدل على جواز التفسير، فعرضت هذا الاستنباط على شيخ من شيوخ الأزهر، فقال: أنا أذهب إلى أبعد من ذلك فأقول: إن هذا يدل على وجوب التصوير، يعني مثل هؤلاء يؤخذ عنهم علم، أو تضاع الأوقات في قراءة كتبهم! وعندنا أئمة إمام المفسرين على الإطلاق الطبري، وشيخهم ابن كثير، وهذه الكتب التي هي من مشكاة النبوة، التفسير بالأثر، بأقوال النبي..، تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنة، بأقوال الصحابة والتابعين، باستنباط على الوجه الشرعي المعروف، على الجادة المعروفة عند أهل العلم، أهل علم وعمل، أهل تقوى، أهل ورع، ولا يمنع أن تأخذ من التفاسير الأخرى ما يعينك على الاستنباط من الكتاب، وما يدلك على إعجاز القرآن وبلاغة القرآن، تأخذ من كل اتجاه بطرف، يعني تأخذ من أحكام القرآن، تقرأ في الكتب التي أعربت القرآن، تقرأ في الكتب التي بينت وجوه إعجاز القرآن، تقرأ في شروح الأحاديث التي تعينك على فهم كلام النبي -عليه الصلاة والسلام-.

..... **وبـــالعتيق تمســـك قـــط واعتصـــمِ**

لتلزم الجادة، يعني كتابات المعاصرين ومن بيئات وثقافات متفاوتة ومتباينة لا بد أن يوجد عندك شيء من الاضطراب، أما إذا كنت على الجادة في تلقيك عن كتب الأئمة من أهل العلم فهذا بإذن الله -جل وعلا- تكون النتيجة مضمونة، والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.